الشعر السياسي في بلاط سيف الدولة

عطية صالح علي الربيقي
مدرس مساعد في قسم اللغة العربية
كلية الآداب ـ جامعة المرقب بليبيا

الشعر السياسي

مقدمة

يتضح من خلال الحديث عن حياة سيف الدولة الحربية التي خاض فيها الكثير من المعارك للدفاع عن حمى الإسلام ضد البيزنطيين الذين شنوا كثيراً من الغارات على الثغور الإسلامية وعملوا فيها القتل والتهديد والتشريد للمسلمين.

كانت سياسة الحمدانيين مع الدويلات العربية التي عاصرتهم جيدة، فقد كانت علاقة سيف الدولة حميدة مع البويهيين والإخشيديين والعباسيين، بينما كان العباسيون يضطهدون الشيعة في كل مكان، أما سياسة الحمدانيين تلقاء الروم فكانت محاربتهم بصلابة وشجاعة ودفاعهم عن الحدود الغربية ونصرة دين الله في الأرض، إن انقسام الدولة العباسية إلى دويلات مستقلة، كان من الأسباب الرئيسية التي ساعدت على رقي الأدب شعره ونثره، وكذلك كان للحروب البيزنطية أثر كبير في نفوس المسلمين، فقام الشعراء بالدفاع عن الإسلام والمسلمين ومواساة المسلمين في المواقع الحربية؛ لأن هذه الحروب تعد صراعًا دينيًا، وصورها الشعراء حربًا بين الإسلام والكفر وانتصاراً لدين الله على أعداء الإسلام من المشركين، وظهر المتنبي في هذا العصر الذي جعل من الأمير سيف الدولة الحمداني البطل والقائد الذائد عن حمى الإسلام والمسلمين وكرامة العرب وأمجادهم.[١]

[١] ينظر اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، تأليف: تأليف: د. نبيل خليل أبوحاتم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدوحة ـ قطر، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٣٢.

وصف الأمير الحمداني:

يذكر المتنبي مسير سيف الدولة الحمداني في البلاد البيزنطية، ولا يعوقه بلد عن بلد، فهو يزرع الموت في بلاد الروم، حتّى جثم على خرشنة، فكان فيها شقاء الروم وبيعها وصلبانها، فسبى نساءها وقتل ولدانها وأخذ أموالها، وأوقد النار في مزارعها الكثيرة[١]، قائلاً:[٢]

لا يَعْتَقِـــي بَلَـدٌ مَســـــراهُ عَنْ بَلَـدٍ ** كالمَـوْتِ لَيـــسَ لَـهُ رِيٌّ وَلا شِبَـعُ

حتّى أقـــامَ عَـلـــى أرْبـاضِ خَرْشَنَـةٍ ** تَشْقَى بـهِ الـرّومُ والصّلبانُ والبِيَعُ

مُخْلًى لَهُ المَـــرْجُ مَنْصُوبـــاً بصارِخَـةٍ ** لَـهُ المَنابـرُ مَشْهُـوداً بهَـا الجُمَعُ

يُطَمّـعُ الطّـيرَ فيهِـــمْ طُـــولُ أكْلِهِمِ ** حتّى تَكادَ علـى أحيَائِهِـمْ تَقَـــعُ

وَلَـــوْ رَآهُ حَوَارِيّوهُـــــــــمُ لَبَنَـــوْا ** عـلـى مَحَبّتِـهِ الشّرْعَ الذي شَرَعُـوا

لامَ الدُّمُستُـــقُ عَينَيْـهِ وَقَـدْ طَلَعَـــتْ ** سُـودُ الغَمَـامِ فَظَنّـــوا أنّهـا قَـزَعُ

فيهـا الكُمـــاةُ الّتـــي مَفطومُها رَجُـلٌ ** علـى الجِيـادِ الّتي حَوْلِيُّهَا جَـذَعُ

يَـذري اللُّقَـانُ غُبـــاراً فـي مَنَاخِرِهَـا ** وَفـي حَناجِرِهَـا مِـن آلـــسٍ جُـرَعُ

أجَـلُّ مِـنْ وَلَـدِ الفُقّـــاسِ مُنكَتِـفٌ ** إذْ فاتَهُـنّ وَأمضَـى منـهُ مُنصَـرِعُ

يقول الشاعر: لا يثبت في بلد من بلاد الروم، ولا يعوقه بلد عن آخر، فإذا فتح بلداً تحاوزه إلى آخر فيفتحه، وشبهه بالموت وشبه البلاد بالنفوس، ولم يزل يسير في بلاد الروم حتى انتهى إلى خرشنة ونزل على أرباضها، يغير على نواحيها ويكسر صلبانها ويهدم بيعها، وأخلى له هذان الموضعان، ونصب له بصارخة المنابر وبني فيها المساجد وأقام الجمعة، فشهد الناس الجمع بها، وإن الطير قد تعودت أكل لحوم القتلى منهم، فتكاد تقع على أحيائهم فضلا عن موتاهم، وإنه مع نكايته فيهم فهو محبوب إلى قلوبهم لشجاعته وسخاوته، فلو رآه حواريّ النصارى لبنوا شريعتهم

[١] ينظر شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة، د. زكي المحاسني، دار المعارف، القاهرة – مصر، ص٢٦٥ ،٢٦٦.

[٢] ديوان المتنبي، المكتبة الثقافية، بيروت– لبنان، ص٣١٢.

على محبته، وإن عيني الدّمستق كذّبتاه، حتى ظنّ جيشك العظيم، الذي هو بمنزلة الغمام الأسود أنه قليل بمنزلة القطع المتفرقة من السحاب؛ لأنه أهول منظراً وأكثر في السماء إجراء وتراكماً؛ ولأن فيها تكون الصواعق أكثر من غيرها، فهي بمنزلة الجيوش، وفي هذه الغمام السود الشجعان الذي كل طفل منهم كأنه رجل؛ لشدته، أو كأنه أرجل من غيرهم، وكل مهر حولي من خيلهم كأنه جذع لقوته أو كأنه جذع من أفراس غيرهم، وأنه يريد كثرة الجيش حتى أن أوله يثير الغبار باللقان، وآخره على آلس يشرب من مائه، فلما علم ذلك ذم عينيه، وإن كان الدمستق قد نجا بنفسه، وفات خيلك، فقد أسر من أصحابه من هو أجل منه، وصرع منهم من هو أشجع منه.[١]

كان سيف الدولة شاغل البلاط البيزنطي، فأقسم البطريق لملك القسطنطينية أن يعارض سيف الدولة في الدرب، وجهز جيشه للفتك بسيف الدولة وجيشه؛ ولكن ذلك القسم الذي أقسم به البطريق على نفسه قد أحنثه وخاب، فاندحر واندحرت جنوده، فانشد المتنبي قصيدته في فروسية آل حمدان، وبطولة سيف الدولة[٢]، قائلاً:[٣]

عُقْبَى اليَمينِ على عُقبَى الوَغَى ندمُ ** ماذا يزيدُكَ في إقدامِكَ القَسَمُ

وَفي اليَمينِ عَلى ما أنْتَ وَاعِدُهُ ** مَا دَلّ أنّكَ في الميعادِ مُتّهَمُ

آلى الفَتى ابنُ شُمُشْقيقٍ فأحنَثَهُ ** فتًى منَ الضّرْبِ تُنسَى عندَه الكَلِمُ

وَفاعِلٌ ما اشتَهَى يُغنيهِ عن حَلِفٍ ** على الفِعْلِ حُضُورُ الفعل وَالكَرَمُ

كلُّ السّيوفِ إذا طالَ الضّرَابُ بهَا ** يَمَسُّهَا غَيرَ سَيفِ الدّوْلَةِ السّأمُ[٤]

لَوْ كَلّتِ الخَيْلُ حتّى لا تَحَمَّلُهُ ** تَحَمّلَتْهُ إلى أعْدائِهِ الهِمَمُ

---

[١] ينظر شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، لأبي العلاء المعري " معجز أحمد"، تحقيق ودراسة: د. عبدالمجيد دياب، دار المعارف، القاهرة– مصر، ج١/٢٥٥، ٢٥٦.

[٢] ينظر شعر الحرب في أدب العرب، د. زكي المحاسني، ص٢٨٤.

[٣] ديوان المتنبي، المكتبة الثقافية، ص٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١.

[٤] السأم: الملال.

أينَ البَطارِيقُ وَالحَلْفُ الّذي حَلَفوا ** بمَفرِقِ المَلْكِ وَالزّعمُ الّذي زَعَموا[١]
وَلّى صَوَارِمَهُ إكْذابَ قَوْلِهِمِ ** فَهُنّ ألْسِنَةٌ أفْوَاهُهَا القِمَمُ
نَوَاطِقٌ مُخْبِرَاتٌ في جَمَاجِمِهِمْ ** عَنهُ بما جَهِلُوا مِنْهُ وَما عَلِمُوا
ألرّاجِعُ الخَيلَ مُحْفَاةً مُقَوَّدَةً ** من كُلّ مثلِ وَبَارٍ أهْلُهَا إرَمُ[٢]

يقول الشاعر: حلف الدمستق على الظفر بالمعركة، ولكنه في عاقبة الحرب ندم؛ لأن الجبان لا يقدم وإن حلف، وإذا حلفتَ على ما تعده من نفسك دلتَ اليمين على أنك غير صادقٍ فيما تعده، لأن الصادق لا يحتاج إلى اليمين، وابن شمشيق بطريق الروم حلف فاحنثهُ من ينسى عند ضربه اليمين والكلام لشدت سيف الدولة، ويفعل ما يريد؛ لأنه ملك لا معارض له، ويغنيه عن القسم أنه موثوق به لكرمه وفعله ما يريد حاضرٌ عاجلٌ فلا يحتاج أن يقسم على ما يريد فعله، فهو إذا هم بأمر أمضاه، وكل السيوف إذا طال عليها الضرب تكل وتعجز عن القطع إلا سيف الدولة فإنه لا يم، ولو كلتْ خيله وعجزتْ عن حمله إلى أعدائه، لكانت هممه وصحة عزائمه تحمله إليهم ليحاربهم، وأين ذهبوا وكيف تركوا يمينهم برأس الملك، وأين ما وعدوه من أنفسهم من القتال والزعم، وهو الذي يرد الخيل عن غزواته، وقد حفيتَ بكثرة المشي يقودها من كل بلد، ويريد أن الديار التي رد عنها خيله كانت كوبار خرابا وأهلها هلاكاً ووبار مدينة قديمة الخراب يقال: أنها من مساكن الجنّ، وإرمُ جيل من الناس هلكوا في قديم الدهر يقال أنهم من عادٍ.[٣]

---

[١] البطارق، والبطاريق: جمع بطريق، وهو القائد للروم، والزعم.

[٢] المحفاة: التي أحفاها الركض، يقال: حفى الفرس: إذا رق حافره، وأحفاه فارسه، ووبار من مدائن قوم عاد، خربت، وهي بين اليمن وعمان، والعرب تزعم أنها من مساكن الجن، وإرم: قوم عاد.

[٣] ينظر شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تأليف: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري الشافعي الواحدي، طبع في مدينة برلين المحروسة سنة١٨٦١مسيحي، دار صادر، بيروت– لبنان، ج٢٩٩/١، ٣٠٠.

ويستغرب المتنبي من كرور الدمستق على الثغور حينًا بعد حين من غير خجل من كثرة الهزائم التي لحقت به وبقومه، ويذكر المتنبي أحد أبناء قائد الروم الذي قتل في هذه المعركة وقتل معه صهره وابن صهره[١]، قائلاً:[٢]

أفي كُـلّ يَـــوْمٍ ذا الدُّمُسْتُـــقُ مُقـدِمٌ ** قَفَاهُ علـى الإقْـــدامِ للوَجْـــهِ لائِـمُ

أيُنكِـــرُ رِيـــحَ اللّيـــثِ حتّـى يَذُوقَـهُ ** وَقد عَرَفَـتْ ريـحَ اللّيـوثِ البَهَائِـمُ

وَقد فَجَعَتْـــهُ بابْنِـــهِ وَابـنِ صِهْـرِهِ ** وَبالصّهْـرِ حَمْـلاتُ الأميرِ الغَوَاشِمُ

مضى يَشكرُ الأصْحَابَ في فوْته الظُّبَى ** لِما شَغَلَتْهَـــا هامُهُـمْ وَالمَعاصِـمُ

وَيَفْهَـمُ صَـــوْتَ المَشرَفِيّـــةِ فيهِـمِ ** على أنّ أصْـواتَ السّيـوفِ أعَاجِمُ

يُسرّ بمَـا أعْطـــاكَ لا عَـنْ جَهَالَـــةٍ ** وَلكِـنّ مَغْنُومـــاً نَجَـا منكَ غانِـمُ

وَلَسْتَ مَليكـــاً هازِمـــاً لِنَظِـــيرِهِ ** وَلَكِنّـكَ التّوْحيـــدُ للشّـــرْكِ هَـــازِمُ

تَشَـــــرّفُ عَـدْنـــانٌ بـهِ لا رَبيعَـــةٌ ** وَتَفْتَخِـرُ الدّنْيـــا بهِ لا العَوَاصِـــمُ

يقول الشاعر: أي كل يوم يَقْدُمُ عليك الدمستق ثم، يفر فيلوم قفاه ووجهه على إقدامه، ويقول: لَمَا أَقْدَمْتُ حتّى عَرّضْتَنِي للضَرْبِ بهزيمتك، وأنه يسمع خبر سيف الدولة فيأتيه مقاتلاً، ثم ينهزم، ولو أنهزم من غير قتالٍ كان اجزم له، وحملاتك عليهم التي تغشمهم وتدقهم وتكسرهم، وقد فجعته بأقاربه، وانهزم شاكراً لأصحابه لما شَغَلتْ بهم السيوف عنه، فكأنهم وقوه عن السيوف برؤوسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف، والسيوف لا تفهم بصوتها أحداً، لأن أصواتها أعاجم غير مفهوم منها شيء، والدمستق يفهم صوتها في أصحابه؛ لأنه يستدل بذلك على قتلهم، ويسر بما أخذته من أصحابه وامتعته وأسلحته وعدته حيث كانت كالفداء له إذ نجا هو واشتغل العسكر بأخذ هذه الأشياء، وليس يسر جهلاً بحالته، وإن الذي انتهبت أمواله ليس سبيله أن يُسَرّ، ولكنه حين نجا

[١] ينظر البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م، ج٢٥٨/١١.

[٢] ديوان المتنبي، المكتبة الثقافية، ص٣٨٨، ٣٨٩.

براسه غانمٌ، وإن كان مغنوماً، وهو لا يهتم لغيره، ولستَ في هزمكَ الدمستق ملكاً هزم نظيراً، ولكنكَ الإسلام هزم الشرك، وجميع العرب يفتخرون به لا بعضهم، وهو فخر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة.(١)

يذكر أبو فراس الحمداني مفاخر الحمدانيين في الحروب البيزنطية، وأسرى الروم وقوادهم بأسمائهم وأيام انكسارهم في حروبهم مع قومهم، ويعير الدمستق(٢)، قائلاً:(٣)

أتَزْعُـمُ، يـا ضخـمَ اللّغَادِيـــدِ، أنّنَـــا ** وَنحـن أُسـودُ الحرْبِ لا نَعرِفُ الحرْبَا
فويـلكَ؛ مـنْ للحـربِ إنْ لـمْ نكنْ لهـا؟ ** ومنْ ذا الذي يمسي ويضحي لهاتربا؟
ومـنْ ذا يلـفّ الجيـشَ منْ جنباتـــهِ؟ ** ومنْ ذا يقـودُ الشمَّ أو يصـدمُ القلبـا؟
وويـلكَ؛ مـنْ أردى أخـاكَ 'بمرعـشٍ' ** وَجَـلّلَ ضرْبـاً وَجـهَ وَالـدِكَ العضْبَا؟
وويـلكَ مـنْ خـلى ابنَ أختكَ موثقاً؟ ** وَخَـلاّكَ بِاللَّقَّـــانِ تَبْتَـدِرُ الشّعبَـا؟
أتوعدنـا بالحـــربِ حتّـى كأننـــــا ** وإيـاكَ لـمْ يعصبْ بها قلبنـا عصبا؟
لَقـد جَمَعْتنَـــا الحَـرْبُ مـن قبـلِ هَذِهِ ** فكنـا بهـا أسـداً؛ وكنـتَ بهـا كلبا
فسـلْ 'بردسـاً' عنـا أبـاكَ وصهـرهُ ** وسـلْ آلَ ' برداليسَ' أعظمكم خطبا!
وَسَـلْ قُرْقُوَاسـاً وَالشَّمِيشَـقَ صِهْـرَهُ ** وَسَـلْ سِبْطَـهُ البطرِيقَ أثبَتكم قلبَـا

يقول الشاعر: أتزعم يا ضخم العنق أننا نحن أسود الحرب لا نعرف الحرب، والويل لك من هم للحرب أبطالاً ومن الذي يُمسِي ويُضَحِي من كان في عمرك، ومن يُطوق الجيش من جنباته ومن ذا يقود ذوو العزة والأنفة أو يصدم قلب الجيش، وويل لك من جعل أخاك صريعاً بمرعش ووجه أبيك المغطى بالدم والمضروب بالسيف، وويل لك من خلى ابن أختك مقيداً وخلّاك في بلاد الروم

(١) ينظر شرح ديوان المتنبي، للواحدي، ج١/٢٧٧.

(٢) ينظر شعر الحرب في أدب العرب، د. زكي المحاسني، ص٣١٠.

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني، رواية أبي عبدالله الحسين بن خالويه، جمعه ونشره: د. سامي الدهّان، وشرحه: أحمد عكيدي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق سنة ٢٠٠٤م، ص ٤٠،٤١.

تتخذ الطرق الملتوية، أتواعدنا بالحرب حتى كأننا وإياك لم يربط بها قلبنا ربطاً، ولقد جمعتنا الحرب من قبل هذه وكنا بها أُسداً وكنتَ كلباً، فأسأل عنا أخاك وصهره وأسأل آل برداً ليس أعظمكم خطباً، وأسأل قُرقواساً والشمشيق صهره وسبطه البطريق أثبتكم قلباً.

ويذكر أبو فراس الحمداني رسول ملك الروم الذي يطلب الهدنة من سيف الدولة، فأمر سيف الدولة الجند أن تركب بسلاحها لاستقبال الرسول، وركب هو من داره في ألف جندي من حرسه الخاص، وعلى أفراسهم ألف جوشن مذهب من دروع الخيل، وفعل سيف الدولة هذا الاستقبال ليرى رسول الروم عدة العرب[١]، قائلاً:[٢]

علونا 'جوشنا ' بأشدَّ منهُ ** وَأثْبَتَ عِنْدَ مُشْتَجَرِ الرّماحِ
بجيشٍ جاشَ، بالفرسانِ، حتّى ** ظننتَ، البرَّ بحراً منْ سلاحِ
وألسنةٍ منَ العذباتِ حمرٍ ** تخاطبنا بأفواهِ الرماحِ
وأروعَ، جيشهُ ليلٌ بهيمٌ ** وغرتهُ عمودٌ منْ صباحِ
صفوحٌ عندَ قدرتهِ كريمٌ ** قليلُ الصفحِ ما بينَ الصفاحِ
فكانَ ثباتهُ للقلبِ قلباً ** وَهَيْبَتُهُ جَنَاحاً للجَنَاحِ

يقول الشاعر: علونا جبل جوشن وأشد منه وأثبتَ من مشتجر الرماح، بجيش هاج وثار بالفرسان حتى ظننتَ البر بحراً من السلاح، وألسنة من المحركات حُمر تخاطبنا بأفواه الرماح، وأروعَ جيش سيف الدولة الليل المظلم وغرته عمود من الصباح، وعفو عند مقدرته كريم وقليل العفو بين السيوف والرماح في المعركة، فكان ثابت القلب وذا هيبة.

---

[١] ينظر شعر الحرب في أدب العرب، د. زكي المحاسني، ص٣١١، ٣١٢.

[٢] ديوان أبي فراس الحمداني، سامي الدهان، ص٦٣.

ويصف السريّ الرّفّاء المعركة من بدايتها وكيف خرجت الخيل لملاقاة العدو، وقد قاد الأمير سيف الدولة جمع المحاربين، قاصدًا خرشنة، مقتحماً لها هاتكاً قصورها بالحريق، وكيف ألتف الجنود حول المدينة وفتحها وأخذها من الروم[١]، قائلاً:[٢]

ثَنى الخَيلَ عن ماءِ الفُراتِ صَوادراً ** فكان لها وِردُ الخَليجَيْنِ مَوْرِدا

يَطيرُ على أرباضِ خَرْشنةٍ بها ** لوافحُ يَهتِكْنَ المُنيفَ المشيَّدا

حَريقاً يُغَشِّي الجُدْرَ حتَّى كأنما ** لبِسْنَ حَبيرَ الوَشْيِ مَثْنىً ومَوحِدا

فباتَ على البُرجِ المُطِلِّ كأنَّما ** يُلاحِظُ منه فَرْقَداً ثمَّ فرقدا

وبثَّ السَّرايا حولها فتفرَّقَتْ ** كما بثَّتِ الرِّيحُ الحَيا فتبدَّدا

يؤانِسُ منهم كلَّ ليثِ حَفيظَةٍ ** على الطَّرفِ وحشيِّ الشَّمائلِ أغيَدا

كأنَّ رماحَ الخَطِّ حولَ بيوتِهم ** على صَهَواتِ الخيلِ دُرّاً مُبَدَّدا

عَرَضْتَ على البِيضِ الرِّقاقِ أُسُودَهم ** وسُقْتَ المَها حُوّاً إليها وسُهَّدا

يقول الشاعر: تباعد الخيل عن ماء الفرات فكان لها ماء الخليجين مُورِداً، يطير راكباً على الخيول الأصيلة ليطأ خرشنة بها حرارة يهتكن البناء العالي المشيد، وأحرق القلعة حتى أصبحت وكأنها لبستْ ثوب جديد منقوش موحداً، وبات على الجبل المطل للقلعة وكأنه يلاحظ النجم القطبي ليهتدي به، ونشر سرايا الجيش حول القلعة، ويؤانس كل جندي منهم من كان بجانبه ، وكأن رماح الجند حول بيوتهم على صهوات الخيل الدرّ المنتشر، وانقضت السيوف الرقاق على فرسانهم وسُقتْ الضباء إليها في قلة النوم.

يصف السريّ الرّفّاء إحدى المعارك التي دارت رحاها بين المسلمين والروم، قائلاً:[١]

---

[١] ينظر فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، تأليف: د. مصطفى الشكعة، عالم الكتب ، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م، ص٥٩٠.

[٢] ديوان السريّ الرّفّاء، عن نسختي الأديبين الكبيرين المرحومين تيمور باشا والبارودي باشا، دار الجيل بيروت– لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ– ١٩٩١م، ص٧٨.

كـم مـن عظيـمِ القَـدْرِ قـد لقَّيْتَـه	**	خَطْبـًا بأطـرافِ الرِّمـاحِ عَظيمـا
ومُشَهَّـرٍ يُدعـى الكَريـمَ تَركتَـه	**	يُدْعَـى وقـد هَطَلَـتْ يَـداكَ لَئيمـا
أَفـنَـتْ ظُبـاكَ الـرُّومَ حتّـى أنهـا	**	لـم تُبْـقِ إلا ظَبيـةً أو رِيمـا
ومَحَـوْتَ آثـارَ الصَّليـبِ فلـم تَدَعْ	**	للعـينِ منهـا مَعلَمـًا مَعلومـا
خَيْـلٌ تُثـابُ عـلـى تَتابُـعِ كَرِّهـا	**	نَدْبـاً عـلـى لَبَّاتِهـا وكُـلومـا
مَنَحَتْـكَ طاعَتهـا القبائـلُ رَهبـةً	**	فمنحـتَ جَمـرَةَ عِـزِّهـا تَضريمـا

يقول الشاعر: إن المسلمين حين انتصروا على الروم، كان انتصارهم قضاء على الكفار، فكم من عظيم القدر عند قومه هزمهُ الأمير سيف الدولة، وأفنتْ خيلك الروم ومحيتَ آثار الصليب حتى لايُرى معلماً لها، ومنحتك القبائل طاعتها فزادتك رهبة في قلوب الأعداء.

يشير النامي إلى قتال المسلمين ضد الروم بقيادة سيف الدولة الحمداني، قائلاً:[٢]

لَكِنْـهُ طَـلَـبَ التَّرهُـبَ خِيْفَـةً	**	مِمَّـنْ لَـهُ تَتَقَاصِـرُ الأَعْـمَـارُ
فَمَكَـانَ قَائِـمُ سَيْفَـهُ عُكَّـازَهُ	**	وَمَكَـانَ مَـا يَتَمَنْطِـقُ الزُّنَّـارُ

يقول الشاعر: إن القتال الذي وقع بين المسلمين والروم، والذي تمت فيه هزيمة الدمستق قائد الروم، الذي ترهب ودخل الدّير خائفاً من الموت، وجعل من سيفه عكاز يتكأ عليه.[٣]

يذكر المتنبي رَكبْ سيف الدولة في بلد الروم، من منزل يعرف بالسنبوس "موضع في بلاد الروم قرب سمندو له ذكر في أخبار سيف الدولة" [٤] في جمادي الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة،

---

[١] ديوان السريّ الرّفّاء، للباشا، ص ٢٥٠.

[٢] ديوان النامي، ص٣٧.

[٣] ينظر زبدة الحلب في تاريخ حلب، تأليف: المولى الصاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن العديم، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ– ١٩٩٦م، ج١/٢٦٥.

[٤] معجم البلدان، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي، تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ج٣/٢٦١.

فأصبح وقد صف الجيش يريد سمندو "هي مدينة صغيرة في وسط بلاد الروم غزاها سيف الدولة في سنة ٩٣٣م، وهي حصينة وبينها وبين ملتان نحو مرحلتين وبينها وبين الروم نحو ثلاث مراحل"[١]، وكان أبو الطيب متقدمًا، فالتفتَ فرأى سيف الدولة خارجًا من الصفوف يدير رمحًا، فعرفه فرد الفرس إليه، فسايره[٢]، وأنشده قائلاً:[٣]

لهذا اليـــوم بعـــد غـــد أريـــج ** ونـار فـي العـــدوِّ لهـــا أجيـــج
تَبِيتُ بهَـــا الحَواضِـــنُ آمِنَـــاتٍ ** وَتَسْلَمُ فـي مَسالِكِهَـــا الحَجيـجُ
فـلا زَالَـــت عُـداتُـــكَ حَـيْثُ كانَـت ** فرائسَ أيهـــا الأســـد المهيـج
عَرَفْتُكَ والصّفُـــوفُ مُعَبّـــآتٌ ** وَأَنْـتَ بِغَـيْـرِ سَيْفِكَ لاَ تَعِيـــجُ
وَوَجْـــهُ البَحْـــرِ يُعْـرَفُ مِـنْ بَعِيدٍ ** إِذَا يَسْجو فَكَيْـفَ إِذَا يَمُـــوجُ
بـأرضٍ تَهْـلِـكُ الأشْـواطُ فيهَـا ** إذا ملئـت مـن الركـض الفـروج
تحاولُ نَفْـسَ مَـلْكِ الـرّومِ فيهَا ** فَتَفْدِيـهِ رَعِيّتُـهُ العُلُـوجُ
أبِالغَمَراتِ تُوعِدُنَـا النَّصـارَى ** ونحنُ نُجُومُهَـا وَهـيَ الـبُرُوجُ
وَفِيْنا السَيْـفُ حَمَلْتُـهُ صَـدُوقٌ ** إِذَا لاقَـى وَغَارَتُـهُ لَجُـوْجُ
فَـإِنْ يُقْـدِم فَقَـدْ زُرْنَـا سَمَنْـدُو ** وَإِنْ يُحْجم فَمَوعِدُنَـا الخَلِيـجُ

يقول الشاعر: سيكون لهذا اليوم الذي ركبتَ فيه، ذكرة حسنة تسرُ المسلمين ويسوء المشركين، ويكون في العدو نار لها توقد للحروب ووقائع تلتهب مثل النار، ويأمن بركوبك هذا بعد غدٍ من في الثغور من النساء، ويأمن أهل الحضر والبدو من الغارات، ويسلم الحجاج والمسافرون في أسفارهم وطرقهم من اللصوص وقطاع الطرق، وجعل الله أعداءك حيث كانوا، فرائسك أيّها الأسد،

---

[١] المرجع السابق، ج٣/٢٥٣.

[٢] ينظر سيف الدولة وعصر الحمدانيين، ص٢١١، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تأليف: ابن تغري بردي، ج١/٣٧٥.

[٣] ديوان المتنبي، المكتبة الثقافية، ص٣٠٩.

و عرفتك في حال تعبئة الجيش وتسوية الصفوف؛ لأنك كنتَ معروفاً فيما بينهم ببأسك وإقدامك، ومن حيث أنك لا تبالي بغير سيرك، وكان من عادته أنه كان لا يعيج بسير غيره، وإنما كان يعتمد سير نفسه، ولا يعتمد على أن تسير الجيوش إلى الأعداء، بل كان يتولاها بنفسه، وشبهه بالبحر المائج؛ لبأسه وهيبته، ورأيتك في أرض واسعة بعيدة الأطراف تفني عدو الفرس فيها، وتطلب نفس ملك الروم، وتقصده دون غيره، ولكن تفديه رعيته وأصحابه وجنوده فتقتلهم بين يديه، وتهددنا النصارى بالحروب والشدائد والخوض في المهالك، ونحن لا ننفك عنها، وليس لنا منزل سواها فكأنا نجوم والغمرات بروج تلك النجوم، وكيف توعدنا النّصارى ؟ وفينا سيف الدولة ! الذي إذا حمل صدقت حملته ولا يرجع حتى يقتل المحمول عليه، وإذا أغار لج على الإغارة وأدامها، وإن أقدم فنحن توسطنا بلاده، حتى نزلنا على سمندو، وإن أحجم عنا فالموعد بيننا وبينه أن ننزل على الخليج ونحاصره في دار مملكته.[١]

الخاتمة

نحمد الله سبحانه وتعالى الذي وفقني لإنهاء هذا البحث الذي يتعلق بدراسة **الشعر الحضاري في بلاط سيف الدولة** "**دراسة موضوعية فنية**"، **(الشعر السياسي أنموذج)**، على الرغم من الانحلال السياسي والتدهور الأمني والفوضى التي ألمت بواقع الأمة الإسلامية في القرن الرابع الهجري؛ إلا أنه كان عاملًا قويًا ودعامة أساسية لخدمة العلم والأدب والفكر على حدٍ سواء، وكان أيضاً من الأسباب الرئيسة في رقي الأدب شعره ونثره.

[١] ينظر معجز أحمد، ج١/١٥٣،٢٥٢.

نلاحظ أن الشعر السياسي أو شعر الجهاد ضد الروم خاصة كان أقوى في عباراته ومعانيه وأخيلته وبدائع فنونه، وهذا الشعر قديم منذ العصر الإسلامي؛ ولكنّ المتنبي هو الذي جعله فناً مستقلًا قائمًا بذاته، فقد خص شعره بحروب سيف الدولة الحمداني ضد الروم البيزنطيين.[١]

ويستطيع الباحث في النهاية أن يستنتج الآتي: ☙

١- يعتبر القرن الرابع الهجري العصر الذهبي للثقافة الإسلامية والعلوم العربية.

٢- ازدهرت الفلسفة ازدهارًا كبيرًا في هذا العصر؛ بسبب نصرة الدولة الحمدانية الشيعية لها؛ لأنها أعانتهم على فكرتهم في مسألة الظاهر والباطن؛ ولذلك كثيرًا ما نرى فلاسفة هذا العصر يحتضنهم الشيعة، كالفارابي، وإخوان الصفاء، وابن سينا، وغيرهم من الفلاسفة.

٣- امتاز عهد سيف الدولة بكثرة حروبه مع البيزنطيين حتى قيل: إنه غزا بلادهم المجاورة لبلاده أربعين غزوه، انتصر في بعضها واخفق في بعضها الآخر.

٤- اعتمد الشعر السياسي على الحجج والبراهين المنطقية المتأثرة بالثقافات الأجنبية، وبما جاء في القرآن الكريم من الحجج والبراهين الفقهية.

٥- طُعِّمَتْ الحضارة ألفاظ الشعر في هذا العصر ببعض الألفاظ الأعجمية التي تجري على ألسنة الناس وظهرت بعض الألفاظ العلمية، وكان للقرآن الكريم أثر كبير على أسلوب الشعر.

المصادر والمراجع

١- اتجاهات الشعر العربي في القرن الرابع الهجري، تأليف: تأليف: د. نبيل خليل أبوحاتم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدوحة ـ قطر، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢- البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.

[١] ينظر الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، د. سعود محمد عبدالجابر، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص٣٣٨.

٣- ديوان أبي فراس الحمداني، رواية أبي عبدالله الحسين بن خالويه، جمعه ونشره: د. سامي الدهّان، وشرحه: أحمد عكيدي، منشورات وزارة الثقافة في
الجمهورية العربية السورية ، دمشق سنة ٢٠٠٤م.
٤- ديوان السريّ الرّفّاء، عن نسختي الأديبين الكبيرين المرحومين تيمور باشا والبارودي باشا، دار الجيل بيروت- لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
٣- ديوان المتنبي، المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان.
٤- سيف الدولة وعصر الحمدانيين، تأليف: سامي الكيالي، دار المعارف للطبع والنشر، القاهرة- مصر.
٥- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، تأليف: أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري الشافعي الواحدي، طبع في مدينة برلين المحروسة سنة١٨٦١مسيحي، دار صادر، بيروت- لبنان.
٦- شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة، د. زكي المحاسني، دار المعارف، القاهرة – مصر.
٧- الشعر في رحاب سيف الدولة الحمداني، د. سعود محمد عبدالجابر، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٨- فنون الشعر في مجتمع الحمدانيين، تأليف: د. مصطفى الشكعة، عالم الكتب ، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٩٨١م.
٩- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، لأبي العلاء المعري " معجز أحمد"، تحقيق ودراسة: د. عبدالمجيد دياب، دار المعارف، القاهرة- مصر.